اللاهوت البيئي (الإيكوثيولوجيا) في ليتورجيا الكنيسة:
نحو وعي روحي ومسؤولية تجاه الخليقة

جرجس جورج

تدرس الإيكوثيولوجيا العلاقة بين الإيمان والبيئة. كما يمكن وصفها بأنَّها حركةٌ اجتماعيةٌ وروحيةٌ في الوقت نفسه، إذ تستكشف تأثير المعتقدات الدينية في التفاعل البشري مع الطبيعة.[1] أثارت هذه الحركة انتقاداتٍ من المسيحيين للهيئات الدينية؛ بسبب إهمالها التدهور البيئي وتقصيرها في مواجهة الأزمات الإيكولوجية الراهنة. وردًّا على ذلك، عاد اللاهوتيون والفلاسفة إلى النصوص المقدسة؛ للبحث عن إشاراتٍ إيكولوجية. ووجدوا العديد من المقاطع التي تؤكد سيادة الله على الكون، وتدعو البشرية إلى الوكالة على الأرض وحماية الطبيعة. ويثير ذلك تساؤلًا عن سبب إغفال مثل هذه الرؤى الإيكولوجية في النصوص الدينية قرونًا عديدة. فهل كان الأمر حالةً من الغفلة التاريخية، أم أن هذه الآراء كانت تُعَدُّ متقدمةً جدًّا على زمانها؟ ولا أنكر وجود اهتمامٍ إيكولوجيٍّ في الماضي، لكنه لم يكن حاضرًا بقوة. ويفرض كلٌّ من العهدين القديم والجديد مسؤوليةَ البشرية تجاه الأرض. ومن الموضوعات الرئيسة في العهد القديم قصةُ الخليقة في سفر التكوين، وفي العهد الجديد تتحدث رسائل بولس عن استعادة جميع المخلوقات.

ولا يذكر الكتاب المقدس البيئة أو علومها صراحةً؛ لأنه ليس كتابًا علميًّا. وبدلًا من ذلك، يركز على الإنسان في إطار البيئة التي يعيش فيها. وعلى الرغم من عدم وجود تعليمٍ إيكولوجيٍّ مباشر أو صريح في الكتاب المقدس، فإن المرء يجد إشاراتٍ إلى اهتمام الإنسان بالبيئة. وعلى الرغم من أن كُتَّاب الأسفار المقدسة ربما لم يكونوا على درايةٍ بالمبادئ العلمية، فإن الكتاب المقدس يتناول كيفية تفاعل الإنسان مع البيئة والأرض، ويتجلى ذلك من خلال أحداثٍ ومقاطعَ مختلفة.

> لقد عرفوا أهميةَ ترك الأرض بورًا في سنة السبت. وتفرقت قطعان إبراهيم ولوط، ثم لاحقًا قطعان يعقوب وعيسو؛ لأن «وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا» (تكوين 13: 2–13؛ 36: 6–8). وكان العبرانيون حريصين على ألَّا تدوس الماشيةُ المناطقَ النهرية أو تلوّثها (تكوين 29: 1–8؛ حزقيال 34: 17–19). وكان سكان المناظر الطبيعية يعيشون منغمسين في بيئتهم المحلية الأصلية. أما نحن المعاصرين، وبشهاداتنا الجامعية، فقد نسارع إلى الاعتقاد بأن العبرانيين لم يكونوا يعرفون الإيكولوجيا.[2]

[1] Jay McDaniel, "Ecotheology and World Religions," in *Ecospirit*, ed. Laurel Kearns and Catherine Keller, Religions and Philosophies for the Earth (New York: Fordham University Press, 2007), 5, https://doi.org/10.2307/j.ctt13x00gt.

[2] Holmes Rolston, "The Bible and Ecology," *Interpretation: A Journal of Bible and Theology* 50, no. 1 (January 1996): 16–26, https://doi.org/10.1177/002096439605000103.

لذلك، تنتهي الأسفار المقدسة إلى رصد التفاعلات البشرية مع الطبيعة. فهي ليست وحيًا بوجود الله بطريقةٍ مباشرة فحسب، بل هي أيضًا وحيٌ بالله في الطبيعة والخليقة والحياة البشرية. ونتيجةً لذلك، وجَّه اللاهوتيون في الآونة الأخيرة اهتمامهم نحو خلاص البشرية في سياقٍ بيئي. وأعتقد أن هذا التأخر في المناقشات اللاهوتية أو الدينية حول البعد الإيكولوجي يرجع إلى التأثير المحدود للتعاليم المسيحية المبكرة في كيفية الانخراط مع العالم الطبيعي في خلال تلك المرحلة. وفي الوقت الحاضر، تعددت النقاشات والأمثلة، مما أدى إلى تفاعلٍ مثمر بين الدين والإيكولوجيا، ولا سيما في مجال الإيكوثيولوجيا المتخصص.

المفهوم

يَتَكَوَّنُ مصطلح «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology) من جزأين: الجزء الأول هو «إيكو» (Eco)، وهو مشتقٌّ من الكلمة اليونانية «أويكوس» (oikos)، التي تعني «المنزل». أمّا الجزء الثاني فهو «لوغوس» (logos)، ويعني «الدراسة». ومن اجتماع الجزأين ينشأ مصطلح «الإيكولوجيا» (Ecology)، الذي يشير إلى الدراسة العلمية للبيئة. واشتقاقيًّا، يمكن فهم الإيكولوجيا ecology على أنها دراسةُ كيفية سكن الكائنات الحية مواطنَها أو منازلَها.[3] وقد أُطلِقَ اسم «الإيكولوجيا» (Ecology) عامَ 1866 على يد العالِم الألماني إرنست هيكل (Ernst Haeckel) (1834–1919). ثم جرى لاحقًا ربطُه باللاهوت في مصطلحٍ واحد هو «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology)؛ للتعبير عن العلاقة بين العلم والدين. وقد اتخذ هذا المصطلح شكلَه النهائي نحو نهاية القرن العشرين داخل الفكر المسيحي.[4]

وبحسب التحليل اللغوي، فإن «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology) هي تأملٌ في «المنزل» الذي يضمُّ كل خليقة الله، ولا سيما العالم الطبيعي، بوصفه نظامًا مترابطًا؛ وذلك وفقًا لعالِم اللاهوت اللوثري هـ. بول سانتماير (H. Paul Santmire). وبوجهٍ عام، تُعَدُّ «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology) تركيبًا بين «الإيكولوجيا» (Ecology) و«اللاهوت» (Theology)، بوصفها مرحلةً من مراحل اللاهوت السياقي.[5]

وعلى الجانب الآخر، يقدِّم جاي ماكدانيال (Jay McDaniel)، المتأثر بفلسفة ألفرد نورث وايتهيد (Alfred North Whitehead)، طريقةً لفهم شبكة الحياة بوصفها مقاربةً فلسفيةً يمكن لعلماء البيئة من ثقافاتٍ وأديانٍ مختلفة اتباعها. ويعدُّها حركةً لقياس مدى تمتُّع الناس بالحياة، ومدى قدرة الكائنات من حولهم على التفاعل مع شبكة الحياة. ويرى أن البشر يمكنهم أن ينعموا بالحياة مع الكائنات الأخرى بمعزلٍ عن البعد الاقتصادي. وبناءً على رؤية جاي ماكدانيال (Jay McDaniel)، فإن «الإيكولوجيا» (Ecology) ليست دينًا، بل موقفٌ من الحياة وفلسفةٌ لها، يمكن التعبير عنها بمنظوراتٍ دينيةٍ مختلفة، من قِبَل أشخاصٍ

[3] H. Paul Santmire, “Ecotheology,” in Encyclopedia of Science and Religion; ed. J. Wentzel van Huyssteen (New York: Macmillan Reference USA, 2003), 237, 247.

[4] Ernst Conradie, “The Four Tasks of Christian Ecotheology: Revisiting the Current Debate,” Scriptura: Journal for Biblical, Theological and Contextual Hermeneutics 119, no. 1 (April 20, 2020): 1–13, https://doi.org/10.7833/119-1-1566.

[5] Ernst M. Conradie, Christianity and Theology Ecological: Resources for Further Research (Stellenbosch: African Sun Media, 2006), 3.

يبحثون عن حلولٍ خلّاقة لمواجهة الاستهلاكية والحكومة المركزية الضخمة. أمّا «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology) فهي قدرة الإنسان على الربط بين القداسة العمودية لله والانسجام الأفقي بين الكائنات الحية والبشر.[6]

1. الأهمية

تُعَدُّ مسألةُ ما إذا كانت «الإيكولوجيا» (Ecology) ضروريةً ومهمةً سؤالًا جوهريًّا. وبعبارةٍ أخرى: هل من الضروري ربط الدين بالبيئة، ولا سيما باللليتورجيا؟ وأرى أن هذا الربط ضروري، ولا سيما في المجتمع المصري الذي يغلب عليه الطابع الديني، في حين يفتقر إلى الوعي البيئي. لذلك، قد يكون من المفيد تفعيل الدور الإيجابي للدين، أو الاستفادة من سلطته المعنوية، في إعادة توجيه عقول المصلين المصريين وقلوبهم نحو الاهتمام بالبيئة.

إن التهديد الذي يواجه مستقبل الإنسانية يعرّض جميع أشكال الحياة للخطر، ويؤثّر في الغذاء والهواء والماء، وفي التغيّرات المناخية الحادّة والاحتباس الحراري. والسلوك البشري هو المسؤول عن هذه السموم وغيرها.

وكما قيل: "إن الأزمة البيئية هي، في جوهرها، عَرَضٌ لمرضٍ روحيٍّ يجب مُعالجته إذا أردنا نحن وكوكبنا أن نُشفى."[7]

لذلك، من الضروري أن يكون لـ ecotheology الإيكوثيولوجيا حضور داخل لاهوت الكنيسة المصرية، وأن يُطبَّق في ليتورجيا العبادة بواسطة الوعظ، والتسابيح، والصلوات، وأسرار الكنيسة. فهذه اللليتورجيا ينبغي أن تُوقِظ الضمير المسيحي المصري ليُصلِح ويعتني بالبيئة.

لذلك، أطرح أولًا السؤال الآتي: لماذا «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology)؟ لأنها تُعَدُّ أساسًا لاهوتيًّا للتعامل مع الأبعاد الدينية والاجتماعية والسلوكية للإنسان، بحيث تجعل البيئةَ مسؤوليةً أوكلها الله إليه ليعتني بها. كما ينبغي التمييز بين «الإيكوثيولوجيا» (Ecotheology) و«عناية الخليقة» (Creation Care)، إذ يكمن الفرق بينهما في النطاق والتركيز.

فـ ecotheology الإيكوثيولوجيا مجال واسع متعدد التخصصات يستكشف العلاقة بين اللاهوت والإيكولوجيا، ويَدمِج التعاليم الكتابية واللليتورجيا والرؤى الأخلاقية لمعالجة التحديات البيئية العالمية .أمّا creation care عناية الخليقة فهي مفهوم لاهوتي محدّد يُركّز على دور الإنسان كوكيل على خليقة الله، استنادًا إلى وصايا كتابية كما تُشير نصوص تكوين 1: 28–31 ومزمور 24: 1، فإن ecotheology الإيكوثيولوجيا تُقدّم إطارًا أوسع، بينما تُركّز creation care عناية الخليقة على المسؤوليات العملية والروحية، بحيث يُكمّل كل منهما الآخر في تعزيز الوكالة البيئية ecological stewardship.

---

[6] Jay McDaniel, “Ecotheology and World Religions,” in Ecospirit: Religions and Philosophies for the Earth, ed. Laurel Kearns and Catherine Keller, Religions and Philosophies for the Earth (New York: Fordham University Press, 2007), 22, https://doi.org/10.2307/j.ctt13x00gt.

[7] Nelson Bock, “An Eco-Theology: Toward a Spirituality of Creation and Eco-Justice,” CrossCurrents 63, no. 4 (December 2013): 434, https://doi.org/10.1111/cros.12049. 1.

ثانيًا: تُعَدُّ الليتورجيا عنصرًا أساسيًّا؛ لأنها تربط بين اللاهوت والعبادة، وتُسهِم في تعزيز الوعي البيئي والاستجابة البيئية لدى المؤمنين. ونظرًا إلى الدور الجوهري للخليقة في اللاهوت المسيحي، ينبغي أن تتفاعل الليتورجيا مع القضايا البيئية. وعلى الكنيسة المصرية أن تدرس الليتورجيا؛ لتسليط الضوء على أهمية الخليقة في العبادة، وتعزيز دور الإنسان بوصفه وكيلًا على الخليقة.

ويُشجِّع هذا التوجُّه على النظر إلى الخليقة بوصفها عطيةً إلهيةً ينبغي استخدامها بمسؤولية؛ لتحقيق خير الإنسان والبيئة معًا، من خلال دمج الوعي البيئي في الممارسة الليتورجية.[8]

2. الايكوثيولوجي والليتورجيا في الكنيسة المشيخية المصرية

في مجتمع الكنيسة المصرية، ولا سيما داخل الكنيسة المشيخية (Presbyterian Church)، تبرز إشكاليةٌ معقدة تتكوَّن من أربعة عناصر مترابطة: الليتورجيا، والوعي البيئي، واللاهوت، والتطبيق العملي. ويؤدي غيابُ أيٍّ من هذه المكوِّنات إلى اختلالٍ في هذه المنظومة.

إن وجود كلِّ عنصرٍ من العناصر الأربعة منفردًا غيرُ كافٍ. فبلا شك، عندما تكون الليتورجيا موجودةً بمعزلٍ عن الاعتبارات البيئية، فإن الكنيسة تفشل في معالجة هذه القضية على النحو الكافي. وكذلك، إذا وُجِد الوعي البيئي دون تمثيلٍ واضحٍ له في الليتورجيا، بقي اللاهوت غيرَ فعَّال، ومجردَ حبرٍ على ورق. ولتحقيق مقاربةٍ متكاملة، ينبغي أن تجد الليتورجيا والإيكولوجيا تطبيقًا عمليًّا في الحياة اليومية، بما يسهم في تنمية الوعي ودفع التغيير الحقيقي. وهكذا، فإن الجسر الذي يربط اللاهوت بالواقع العملي هو الليتورجيا. ومن ثم، تستطيع العبادة أن تؤثر في الأنشطة الأخرى في مختلف جوانب حياتنا، مثل السلوك في المنزل والعمل، وفي المزارع والحقول، وغيرها.

ومن وجهة نظري، تبرز في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر قضيتان رئيسيتان. تتعلق الأولى بليتورجيا الكنيسة: هل تمتلك الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر ليتورجيا؟ وإن وُجدت، فهل تتضمن ليتورجيا الصلاة توجُّهًا بيئيًّا؟ أما الثانية، فتتمثل في التساؤل عمّا إذا كان بيان الإيمان (Confession of Faith) أو دستور الكنيسة (Constitution) يعالجان القضايا البيئية بأيِّ صورة.

في دستور الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر، لا نجد مادةً واحدةً، ولا حتى بندًا، يتحدث عن علاقة الإنسان بالطبيعة المحيطة به ومسؤوليته المباشرة تجاهها. فهل يُعبِّر بيان الإيمان عن معتقد الكنيسة؟ وهل يمكن أن نتوقع أن يُشير إلى إيمان الكنيسة بمسؤولية الإنسان وشراكته مع الله في العناية بالخليقة، سواء في المادة الخامسة الخاصة بالخلق (Creation)، أم في المادة السادسة الخاصة بالعناية الإلهية (Providence)؟

[8] Jonah Yabanad Stephen, "Ecological Liturgy: Meaning, Uses, and Applications," in Ecological Liturgy and the Church in Africa, ed. Emmanuel Chinedu Anagwo (Port Harcourt: Cornel Printz Resources, 2021), 37.

وبعبارةٍ أخرى، نتيجة غياب الاهتمام بالبيئة، لا توجد في الدستور فقرةٌ واحدةٌ تتحدث صراحةً عن البيئة. ومع ذلك، نجد أساسًا لاهوتيًّا في المواد التي تتناول الخلق والعناية الإلهية، يمكن الاستناد إليه بوصفه أساسًا إيكوثيولوجيًّا داخل الليتورجيا.

تُقِرُّ هذه المواد بمسؤولية الله وتؤكدها، لكنها لا تُركِّز على مسؤولية الإنسان تجاه الطبيعة. ويحتوي الدستور على عبارتين غير مباشرتين قد تكونان متصلتين، لكنهما لا تحظيان عادةً باهتمامٍ في مناقشات الدستور أو في سياق العبادة، وهما: «قابلًا للشركة معه...» و«فهو مسؤولٌ أدبيًّا». ومن غير الملائم إخراج هاتين العبارتين من سياقهما للقول إنهما تعبّران عن اهتمامٍ بيئيٍّ صريح، غير أنه يمكن تأويلهما بما يدعم المسؤولية اللاهوتية في العناية بالخليقة.

إذا فسَّرنا هاتين المادتين تفسيرًا سلبيًّا، وجدنا أن الله هو القائم بالرعاية، وبذلك يتقلص دور الإنسان، ولا يُسلَّط أيُّ ضوءٍ على مسؤوليته. فتُصبح المسؤولية كلُّها مُلقاةً على الله، ومن ثَمَّ يُصبح الله متَّهَمًا بكل فسادٍ يحدث في الطبيعة. وعلى الرغم من أن الدستور يلامس جوانبَ مميزةً من حياة الإيمان في هذا العالم وفي الحياة الأبدية، فإنه لا يتضمن مادةً تتحدث عن تمتُّع الإنسان بامتياز كونه مخلوقًا على صورة الله، وما يترتب على هذا الامتياز من مسؤوليةٍ تتمثل في مشاركته الله في العناية بالخليقة.

الإيكولوجيا في الكنيسة الإنجيلية المشيخية

إذا اعتبرنا اللاهوت المشيخي المصري فرعًا من اللاهوت المشيخي العام، فمن المنطقي أن يكون له أساسٌ لاهوتيٌّ يربط الإنسان بوكالته على الطبيعة، بما يعكس مسؤوليته في العناية بالخليقة. ومع ذلك، وبوجهٍ عام، لم يظهر أيُّ أدبٍ لاهوتيٍّ يعالج قضية البيئة قبل النصف الثاني من القرن العشرين.[9] وحتى مع تزايد الوعي بالقضية البيئية العالمية وبروز التأملات الإيكوثيولوجية، فإن حالة اللامبالاة ما تزال مستمرةً حتى يومنا هذا؛ إذ لا نجد لها حضورًا في اللاهوت المشيخي المصري.

وعلاوةً على ذلك، وعلى الرغم من ظهور حركاتٍ اجتماعيةٍ تُطالِب بحماية البيئة، فإن الدور المشيخي يكاد يكون غائبًا تمامًا عن المشهد البيئي. ورغم وجود حملاتٍ فرديةٍ تهدف إلى زيادة الوعي البيئي، فإن التراث اللاهوتي للمشيخيين المصريين لم يُحرز تقدمًا ملحوظًا في مجال الإيكولوجيا.

وبناءً على ذلك، ومن أجل معالجة البعد الليتورجي للقضية البيئية، يحتاج المشيخيون في مصر إلى لاهوتٍ ليتورجيٍّ يستكشف العلاقة بين الله والإنسان والطبيعة.

التاريخ المصري في خدمة الكنيسة

يُساعِد التاريخُ المصريُّ اللاهوتَ الكنسيَّ على تنمية الإحساس بالطبيعة؛ لأن الجذور المصرية تمنح الإنسانَ المصريَّ رابطًا إيكولوجيًّا بها. ولن يكون هذا الفكرُ غريبًا إذا استعانت به الكنيسةُ في لاهوتها؛ إذ إن التاريخَ والثقافةَ المصريَّين القديمَين قد اعتبرا النيلَ كيانًا مقدَّسًا، ووضع المصريون القدماء أسسًا للحفاظ عليه.

[9] Christopher Hamlin, "Ecotheology before Ecology and Environmentalism: Reclaiming the Missing Heritage of Natural Theology," in Theology and Ecology across the Disciplines on Care for our Common Home, ed. Celia Deane-Drummond and Rebecca Artinian-Kaiser (London: T&T Clark, 2018), 25

وكان لديهم وعيٌ إيكولوجيٌّ؛ إذ كانوا يعتقدون أن من يُلوِّث النيلَ لن يدخل الفردوس. وقد صرَّح هيرودوت: «مصر هبةُ النيل».[10] وهنا تكمن ميزةٌ مهمَّة؛ فالإرث الإيكولوجي للثقافة المصرية القديمة حاضرٌ بالفعل في حضارتنا المصرية. وللأسف، لا تستفيد الكنيسةُ المشيخية من هذا التراث الثقافي الغني.

يمكن عزو تدهور الوضع الإيكولوجي داخل الكنيسة المشيخية إلى عوامل اجتماعية ولاهوتية في مصر؛ إذ إن انتقال المجتمع المصري من الزراعة، بوصفها مصدرًا أساسيًّا للمعيشة، إلى التصنيع قد لعب دورًا مهمًّا. فقد أُهمِلَت الأراضي الزراعية، وتحوَّل كثيرٌ منها إلى مبانٍ خرسانية. كما تراجعت الصلة بالدورات الزراعية الموسمية، وأصبحت خارج دائرة الاهتمام.

ورغم هذا التفسير، فإنه يدفعنا إلى التساؤل: ماذا تقول الكنيسة المشيخية عن البيئة؟ وكيف تُفسِّر قصة الخلق؟ وما تفسيرها لمفهوم سيادة الإنسان على المخلوقات؟

3. الإيكوثيولوجيا التفسير والقضايا اللاهوتية

أُؤكِّد على قضيتين أساسيتين: تفسير وفهم قصة الخلق، والإسخاتولوجيا (Eschatology). وقد اخترتُهما لسببين على الأقل: أولًا: لصعوبتهما وأهميتهما، بوصفهما أساسًا لاهوتيًّا محوريًّا، ليس في اللاهوت البيئي فحسب، بل أيضًا لفهم الحياة الإيمانية للإنسان بوجهٍ عام. وثانيًا: لأن الإسخاتولوجيا تتسم بالغموض؛ ولذلك ينبغي أن يكون تفسيرها، أو فهمها اللاهوتي، واضحًا.

أولًا: في العهد القديم، تُروى قصة الخلق في ضوء مسؤولية آدم بوصفه وكيلًا لله. وكانت سيادته قائمةً على العناية بالخليقة، لا على الهيمنة عليها أو استغلالها .وينبغي أن يركِّز التفسير ليس فقط على لعنة الأرض، بل أيضًا على الفداء؛ حتى تتضح الصورة الكاملة، وهي أن الأرض الملعونة لها فداءٌ في المسيح يسوع .كما يجب إعادة تفسير العداوة التي نشأت بين آدم والطبيعة بعد السقوط في ضوء التوبة .ويجب التأكيد على أن الخليقة تُعلِن الله، ولذلك لا ينبغي تشويهها؛ لأنها تُعَدُّ إحدى وسائل إعلانه .ومن ثم، تؤدي الخليقة دورًا مهمًّا في تحديد العلاقة بين الله والإنسان، بحيث يستطيع الإنسان أن يدخل في شركةٍ مع الله ويتواصل معه من خلال الخليقة؛ فالخليقة هي الحضور المنظور لله .وفي الفصل الرابع، سأشرح بمزيدٍ من التفصيل لاهوت الخلق وعلاقته بالإيكولوجيا.

ثانيًا: فيما يتعلق بتفسيرات الإسخاتولوجيا (Eschatology)، ثمة حاجةٌ إلى تنقية الأفكار المرتبطة بها، ولا سيما تلك التي تدعو إلى دمار الأرض وخرابها؛ إذ يحمل المسيحيون الإنجيليون المعاصرون رؤًى مختلفةً عن المستقبل، تؤثر في مواقفهم تجاه البيئة. فـالتدبيرية (Dispensationalism) تميل إلى اعتبار تدهور البيئة مؤشرًا على اقتراب المجيء الثاني للمسيح ونهاية الزمان. أما عقيدة ما بعد الألفية (Postmillennial Doctrine) فترى أن العالمين الطبيعي والبشري سيتحسنان تدريجيًّا حتى عودة المسيح، وتضع على عاتق المسيحيين مسؤولية الإسهام في تحقيق هذا التحسن. بينما ترى الألفية (Millennialism) والعقيدة الألفية السابقة التاريخية (Historical Premillennial Doctrine) أن إمكانات التحسن البيئي والاجتماعي تظل محدودةً في العصر الحاضر.[11]

---

[10] Mostafa El-Sheekh, “River Nile Pollutants and Their Effect on Life Forms and Water Quality” in The Nile: Origin, Environments, Limnology, and Human Use. Monographiae Biologicae 89. ed., H. J. Dumont (Dordrecht: Springer, 2009), 395.

[11] Janel M. Curry-Roper, “Contemporary Christian Eschatologies and Their Relation to Environmental Stewardship,” The Professional Geographer 42, no. 2 (1990): 157–69, https:// doi:10.1111/j.0033- 0124.1990.00157.x.

ما دام أصحابُ الفكر التدبيري يتمسكون بإسخاتولوجيا تفهم العالم على أنه قائمٌ تحت حكمٍ إلهيٍّ بالموت والدمار، فلا ينبغي أن نتوقع أيَّ تغييرٍ كبيرٍ في موقفهم تجاه البيئة أو الحركة البيئية. فسيستمرون في تفسير المشكلات البيئية بوصفها من أوائل ثمار التعبير الوشيك عن غضب الله على العالم، وستُعَدُّ الدعوات إلى المشاركة في جهودٍ مستمرةٍ لمعالجة المشكلات البيئية غيرَ مجديةٍ، في أفضل الأحوال، ومعارضةً لمشيئة الله، في أسوئها.[12]

وفي الخطاب البيئي، يظهر نوعان عامَّان من الموضوعات الأخروية الأبوكاليبتية. أحدُ أنواع الخطاب الديني الشائع بين التدبيريين (Dispensationalists) هو الخطاب الأبوكاليبتي، الذي يُقيِّم التدهور الأخلاقي والسياسي والاقتصادي في العالم، ويرى في هذا التدهور مؤشرًا على اقتراب نهاية الزمان. ولذلك، ترى هذه المدرسة التفسيرية أن الكارثة البيئية تُجسِّد ما سبق أن تنبأ به الكتاب المقدس في تفسيرها الإسخاتولوجي، بدءًا من الكارثة الكونية في سفر الرؤيا، وانتهاءً بالنبوءة عن سقوط أورشليم في الأناجيل الإزائية. وتذهب دوائرُ أخرى أكثر تطرفًا إلى الاعتقاد بأن «الاختطاف» (Rapture) و«هرمجدون» (Armageddon) يمثلان عقابًا إلهيًّا وتعبيرًا عن غضب الله، وهما خارج نطاق سيطرة البشر.[13]

4. الليتورجيا في الكنيسة الإنجيلية المشيخية

يُعرَّف مفهوم الليتورجيا في الكنيسة الإنجيلية، أو بصورةٍ أوسع في العبادة المسيحية، بأنه الاستجابة الجماعية للشعب لكلمة الله. وتتضمن هذه الاستجابة قبولَهم لهذه الكلمة، التي توجِّدهم بوصفهم شعب العهد، أي الكنيسة، في كلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد. وبناءً على ذلك، فإن الليتورجيا والكنيسة مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، ولا يمكن الفصل بينهما. فالليتورجيا تُعَدُّ التجسيد المنظَّم والمرئي للعبادة، الذي تُعبِّر الكنيسة من خلاله عن رؤيتها للعالم.

الليتورجيا ليست مجرد جهدٍ فردي، بل هي عملُ الجماعة. وهي البعد الروحي للعبادة، متجاوزةً الأشكالَ الخارجية إلى التعمق في الجوهر. ويرى كالفن أن العبادة تبدأ داخل الكنيسة، لكنها تمتد إلى الحياة اليومية، وأن على الجميع المشاركة فيها.[14]

إن مفهوم الليتورجيا واسعٌ؛ إذ يشمل العالم بأسره، ويُتيح رؤيةً إيجابيةً للطبيعة وللكائنات غير البشرية. ويتوافق هذا الفهم مع رؤية الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، التي ترى الليتورجيا نشاطًا جماعيًّا يرتبط بالعالم خارج الكنيسة. ويرى كلٌّ من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الإنجيلية أن الليتورجيا ممارسةٌ عمليةٌ يومية، وليست مجرد طقوس. ويمكن لهذا الفهم المشترك أن يُسهِم في تعزيز الوحدة داخل الجماعة المسيحية، وتشجيع التعاون في القضايا المجتمعية والبيئية، ودعم المصالحة التي تعود بالنفع على الإنسان والبيئة.

---

[12] Al Truesdale, “Last Things First: The Impact of Eschatology on Ecology,” Perspectives on Science and Christian Faith, 46, no. 2 (June 1994): 116– 22. accessed April 8, 2024, https://www.asa3.org/ASA/PSCF/1994/ PSCF6-94Truesdale.html#9

[13] Pilario F. Daniel, “Ecology and the Apocalypse,” in Fragile World: Ecology and the Church, ed. William T. Cavanaugh (Eugene, OR: Cascade Books, 2018), 271–76.

[14] James J. De Jonge, “Calvin the Liturgist: How ‘Calvinist’ Is Your Church’s Liturgy?” Reformed Worship, accessed January 24, 2024, https://www.reformedworship.org/article/september-1988/calvin-liturgist-howcalvinist-your-churchs-liturgy

الليتورجيا في الكنيسة

فيما يتعلق بشكل الليتورجيا في الكنيسة الإنجيلية في مصر، يصف إميل زاكي وفينس نيقولا ذلك في كتابهما «الكنيسة الإنجيلية في مصر»، حيث يعرضان بنية العبادة ومكوّناتها في السياق المصري. وتتبنى الكنيسة المشيخية في مصر نظام العبادة المُصلَح، الذي يشمل صلواتٍ متنوعةً وقراءاتٍ منتظمةً من العهد القديم، والمزامير، والعهد الجديد. وتُعَدُّ العظة محورًا أساسيًّا؛ لأنها تقوم على الكلمة المكتوبة، وتقدِّم التعليم والتوجيه. كما يُعَدُّ العطاء والترانيم جزءًا لا يتجزأ من العبادة. أما العشاء الرباني، فكان يُمارَس في الماضي على فتراتٍ متباعدة؛ بهدف الفحص والتدقيق، بينما تمارسه بعض الكنائس اليوم شهريًّا أو نصفَ شهريٍّ. وتؤمن الكنيسة بأن العبادة تمتد إلى الحياة اليومية طوال الأسبوع، وليست مقصورةً على يوم الأحد أو على حضور الكنيسة.[15]

تمنح الكنائس مساحةً واسعةً من الحرية في شكل الليتورجيا وترتيبها، غير أن هذا التنوع الكبير في ليتورجيا العبادة داخل الكنيسة قد يؤدي إلى حالةٍ من الفوضى، وإلى غياب التأثير في عقول الناس وقلوبهم. فعلى سبيل المثال، تُترَك الصلوات التي تُرفَع من أجل الوطن والعالم لاجتهاد قائد العبادة، دون وجود نظامٍ واضحٍ يجعلها عنصرًا أساسيًّا في العبادة، ويُذكِّر المصلين باستمرار بواجباتهم تجاه وطنهم والخليقة.

ومع ذلك، لا توجد في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر نماذجُ ليتورجيةٌ تُعالِج القضايا البيئية بوصفها جزءًا من انخراط الكنيسة في العالم. فقد أسست الكنيسة مدارسَ ومستشفياتٍ لمواجهة الجهل والمرض، وكان ذلك دليلًا على أنها أظهرت في بداياتها وعيًا أكبر بالمشكلات المجتمعية. وبالمثل، تحتاج الكنيسة اليوم إلى مواصلة انخراطها في القضايا البيئية. فليس على الكنيسة أن تواجه الأخطار البيئية بوصفها مسؤوليةً اجتماعيةً فحسب، بل ينبغي أيضًا أن تُدرِجها في الليتورجيا بوصفها أساسًا لاهوتيًّا.

دور المزامير المنظومة في الليتورجيا

تُقدِّم المزامير للإنسان منظورًا جديدًا يتيح له أن يرى العالم والطبيعة برؤيةٍ متجددة. فهي ليست مجرد مخزنٍ للمفاهيم اللاهوتية أو استكشافٍ منهجيٍّ لله وخليقته، بل تُعَدُّ دعوةً إلى وعيٍ متعاظم، وتذكيرًا للكنيسة بفرحها بالطبيعة ومسؤوليتها تجاهها. إن هذا التكامل بين الوعي الإيكولوجي واللاهوت أمرٌ أساسيٌّ.[16]

المزامير، بما تتضمنه من شعرٍ وترنيم، تُشبِه ليتورجيا مقدسة؛ فهي ترانيم خُلِقَت لتُغنَّى. وفي آياتها شهادةٌ متنوعةٌ وقويةٌ عن الإيمان الحي. وتُعبِّر هذه الترانيم عن التعبد والصمود في سياقاتٍ وظروفٍ مختلفة. وبوصفها نصوصًا شعرية، تتسم المزامير بأناقةٍ أدبية، مستخدمةً صورًا حيَّةً واستعاراتٍ تُحرِّك الخيال وتُعيد تشكيل رؤيتنا. كما تؤدي المزامير دور البوابة التفسيرية، إذ تدعو القارئ إلى التفاعل مع النصوص الكتابية في انسجامٍ مع الخليقة، لا في تعارضٍ معها.

---

[15] اميل زكي، فنيس نيقولا، **الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر** (القاهرة: دار الثقافة، 2015)، 123.

[16] William P. Brown, “Deep Calls to Deep: The Ecology of Praise in the Psalms,” in the Oxford Handbook of the Bible and Ecology,1st ed., eds., Hilary Marlow, and Mark Harris (New York, NY: Oxford University Press; 2022), 166. https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780190606732.001.0001.

في الماضي، كانت الكنيسة المشيخية في مصر حريصةً على استخدام نظم المزامير (Metrical Psalms). وعلى الرغم من أن معظم الكنائس اليوم لم تعد تُرتِّل المزامير، واستبدلت بها، في الغالب، ترانيمَ أخرى لا تُعنى بالقضايا البيئية، فإنه لا يمكن إنكار وجود بعض الترانيم غير الموزونة التي تُسبِّح الله من أجل الطبيعة ومخلوقاته. ومع ذلك، فقد احتفظ التقليد المشيخي في مصر، تاريخيًّا، بتراثٍ غنيٍّ من نظم المزامير، يعكس ارتباطًا كتابيًّا عميقًا بالعالم الطبيعي.

فثمَّة لغةٌ كتابيةٌ متاحةٌ للكنيسة تتمحور حول الخليقة ضمن ممارستها الليتورجية، بما يُسهم في إبراز هذا البعد البيئي في الممارسة المعاصرة. فعلى سبيل المثال، يُظهِر مزمور 19: 1–6 أن شهادة الخليقة، التي تشير إلى الله، تُشكِّل جزءًا أساسيًّا من الإعلان العام، الأمر الذي يُتيح لنا تعميق فهمنا لله.

كان لهذه الترانيم أثرٌ طيبٌ في نفوسنا عندما كنا نُنشِدها في طفولتنا؛ فربما لم نكن ندرك أبعادها البيئية آنذاك، غير أنها كانت تُنمِّي في داخلنا محبةً للخليقة. إن الهدف من الليتورجيا هو إعادة تثقيف المسيحيين حول تسبيح الله بوصفه خالق الكون. ومن خلال ترنيم نظم المزامير، يستطيع المؤمنون أن يُعمِّقوا فهمهم للبيئة بصورةٍ ملحوظة.

وتُعَدُّ المزامير الثلاثة المرتبطة بالخليقة -مزامير 19 و104 و148- نماذجَ واضحةً لكيفية إسهام هذه «المزامير الخَلقيَّة» في تذكير المؤمنين بعبادة الله بالكلمة والفعل، وفي الوقت نفسه بالعناية بالطبيعة ضمن بيئتهم. فهذه المزامير تُعيد تشكيل الوعي الروحي؛ ليصبح أكثر انسجامًا مع مسؤولية الإنسان تجاه الخليقة.[17]

ترانيم غير نظم المزامير

إلى جانب نظم المزامير، توجد ترانيم أخرى تستحق الذكر، مثل: «أيها القدوس يا رب الحياة»، و«احفظ بلدنا يا رب واملاها من خيرك»، و«ربي، كل الخليقة بتعلن حقيقة إنك صالح». ففي إحدى هذه الترانيم، تُرفَع صلاةٌ مباشرةٌ من أجل الصلاح؛ ذلك الصلاح الذي يشمل الطبيعةَ والنهرَ وثماره، مع التماسٍ إلى الله أن يحفظ مصر من الحاجة والفقر. كما تتضمَّن الصلاةُ طلبًا بالحماية من الجفاف الذي قد يُصيب النهر. وفي اللازمة، تُرفَع صلاةٌ من أجل شفاء أرض مصر، الأمر الذي يكشف عن بُعدٍ ليتورجيٍّ واضحٍ يتعلَّق بالعلاقة بين الإنسان والأرض.

هل تُعَدُّ هذه الترنيمة مثالًا جيدًا للصلاة البيئية؟ أرى أن الإجابة نعم؛ فهي تُجسِّد نموذجًا حيًّا لكيفية إدماج البُعد البيئي في العبادة، من خلال ربط احتياجات الأرض بالصلاة الجماعية، وإدراك أن العناية بالطبيعة جزءٌ من الإيمان العملي.

5. تحليل نقدي لليتورجيا الإيكوثيولوجي في الكنيسة الإنجيلية المشيخية

[17] Barend J. de Klerk, “The Power of Praise Psalms to Encourage Awareness of Ecological Issues Amongst Worshippers,” die Skriflig 48, no. 2, (March 2014): 01–09, https://doi.org/10.4102/ids.v48i2.1689.

بناءً على ما عُرِض حول اللاهوت البيئي في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر، ومن خبرتي الشخصية في الخدمة داخل الكنيسة التي تمتد لأكثر من عشرين عامًا عضوًا وراعيًا، توصّلتُ إلى نتيجتين أساسيتين: الأولى تتعلق بالليتورجيا، والثانية تتعلق بالإيكو-لاهوت ذاته.

أولاً: غياب الليتورجيا الواضحة والموحَّدة

للأسف، لا توجد في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مصر ليتورجيا واضحة أو متفقٌ عليها، ولا يوجد نظامٌ يضمن جودة الترانيم أو العظات؛ فالأمر متروكٌ لكل راعٍ أو لكل كنيسة على حدة. وقد تتشابه الليتورجيا في عناصرها العامة، مثل: الصلاة، والترانيم، والعظة الكتابية، كما هو الحال في معظم الكنائس غير التقليدية، إلا أن محتوى الصلوات، وبنيتها، وأنواع الترانيم، وموضوعات العظات تختلف اختلافًا كبيرًا من كنيسة إلى أخرى، وقد يصل هذا الاختلاف إلى حدِّ التناقض. وكأن الكنيسة الإنجيلية المشيخية أصبحت مجموعةً من الكنائس المستقلة، لكلٍّ منها أسلوبها الخاص في العبادة. ولا أريد التعميم، لكن هذا هو الواقع الغالب.

ثانيًا: غياب العمل الإيكوثيولوجي الليتورجي

وبما أنّ الليتورجيا الرسمية غائبة، فلا يوجد -بحسب علمي- أي عمل لاهوتي مصري يتناول الليتورجيا الإيكو-لاهوتية. فالدراسات التي تتناول ليتورجيا تتمحور حول الطبيعة نادرة للغاية. فلا توجد كتب أو أبحاث أو حتى جلسات إدارية داخل سنودس النيل تناولت بشكل صريح ضرورة وجود ليتورجيا إيكو-لاهوتية في الكنيسة المشيخية.

ومع ذلك، تبرز محاولةٌ واحدةٌ لافتةٌ للنظر، تمثَّلت في عددٍ خاصٍّ من مجلة النسور خُصِّص للقضايا البيئية، حيث قدَّم القس أمير إسحق مقالةً بعنوان: «ليتورجيا العبادة في يوم البيئة العالمي ومؤتمر المناخ الدولي».[18] وتبدو هذه المحاولة -على حدِّ علمي- الأولى من نوعها. فالليتورجيا التي قدَّمها صُمِّمت خصيصًا لهاتين المناسبتين، وتضم صلواتٍ، وقراءاتٍ، ومزاميرَ، وترانيمَ، وعظةً، تتمحور جميعها حول البيئة. ويمكن أن يُسهم تطبيق هذه الليتورجيا في رفع الوعي البيئي داخل الكنيسة. وما أرجوه هو وجود ليتورجيا أسبوعية وموسمية تتضمن صلواتٍ، وقراءاتٍ، وترانيمَ مرتبطةً بالبيئة، بما يُسهم في الحفاظ على وعيٍ دائمٍ ويقظةٍ مستمرةٍ تجاه القضايا البيئية في العبادة.

ثالثًا: العقائد؛ الإسخاتولوجيا البيئية ecoeschatology

هناك قضيةٌ أخرى تتعلق بالإسخاتولوجيا البيئية (Ecoeschatology). فلا ينبغي أن يرتبط التفكير الإسخاتولوجي، أو الرؤى الأبوكاليبتية، بالخوف من المستقبل أو بالنهاية المأساوية للعالم أو للتاريخ. كما لا ينبغي أن ينصبَّ التركيز على فكرة الهلاك، بل على مفهوم الاستمرارية. إن تفسير هذا الفكر المتعلق بنهاية الأزمنة قد يجعل الإنسان يتقبَّل الكوارث الطبيعية، وفساد الطبيعة، وتفاقم المشكلات البيئية، بوصفها أمورًا طبيعيةً لا بد من حدوثها. لكن ينبغي لنا أن نؤمن بأن المستقبل الإسخاتولوجي يكشف عن ذاته في يسوع، بوصفه الخير الأسمى الذي يمكن للبشر أن يسعوا إليه، وبوصفه المصير الكامل للحياة الإنسانية وغايةَ الخليقة كلها.

---

[18] أمير إسحاق، **ليتورجيا العبادة في مناسبتَي يوم البيئة العالمي والمؤتمر الدولي للمناخ**، *النسور: نحو فكر لاهوتي محافظ مستنير*، يناير 2023، ص 77–84. متاح على https://ceoss-eg.org

وبحسب بولس الرسول، فإن قيامة الإنسان وتجديد النظام القائم عنصران من عناصر استعادة الخليقة. ويُعلن بولس أن الخليقة تئنُّ في انتظار ذلك، كما يرد في رومية 8: 12–25. ثم يلخِّص الرجاء الإسخاتولوجي في تحرر الخليقة كلها من عبودية الفساد (رومية 8: 19–21).

يفرض هذا الفكر أخلاقًا تدعو إلى التفاعل والسعي والعمل من أجل دفع خليقة الله نحو الانتصار المستقبلي الذي وعد به الله في يسوع المسيح، وهو ما يدفعنا إلى الانتماء إلى عالمنا والمحافظة عليه بوصفه جزءًا من عمل الفداء. وهذا يعني أن الإشارات البولسية في رومية 8 (وكذلك كولوسي 1: 15–20؛ أفسس 1: 10)، التي تتحدث عن أن الخليقة تئنُّ في مخاضٍ في سبيل استعادة كل شيء إلى الله، تتحقق من خلال عمل المسيح الكفاري على الصليب، وأن هذا الصلح يشمل الخليقة كلها، لا البشر وحدهم. إن هذا الفكر العقائدي والأخلاقي يجعل الشركة مع الطبيعة واستعادتها جزءًا من الإيمان المسيحي بالفداء.[19]

سوء الفهم الكتابي اللاهوتي

يمكن تلخيص بعض أوجه سوء الفهم الكتابي واللاهوتي الناتجة عن تفسيراتٍ غير صحيحة بوصفها إحدى المشكلات داخل الكنيسة؛ إذ تؤدي إلى عزل الناس عن الاهتمام بالمجتمع والعالم الأوسع. ومثل هذه الأفكار بعيدةٌ كلَّ البعد عن الرؤية البيئية، وقد تكون كارثيةً في بعض الحالات. ويمكن تلخيص هذه الأفكار فيما يلي:

1. **الأديان الأبوية**: التي يُشار غالبًا إلى المسيحية بوصفها أبرزها؛ تعبد إلهًا خالقًا متعاليًا ومنفصلًا تمامًا عن خليقته.
2. **المسيحية كانت متمركزة حول الإنسان** بشكل مُلحّ، مهتمة فقط بعلاقة الإنسان بالله، ومؤكدة انفصال الإنسان الجذري وتفوّقه على بقية الخليقة.
3. **الشيء الوحيد ذو القيمة المطلقة في الخليقة هو الإنسان**، المخلوق "على صورة الله" من أجل علاقة شخصية أبدية مع الخالق.
4. **التركيز المسيحي على خلاص الإنسان** أدى إلى تبنّي منظور "آخر-عالَمي"، أي التركيز على السماء، مع الانتقاص من قيمة الأرض وسكانها غير البشر. فالخلاص النهائي للإنسان لا يُختَبَر في الجسد أو على الأرض أو داخل الخليقة. المسيحي ملتزم بالعالم الروحي، وتُعدُّ المخلوقات مجرد خلفية لدراما روحية تنتهي في سماء سماوية. الجسد والمادة يُنظر إليهما كعوائق يجب تجاوزها والتخلص منها.
5. **كما خُلِقت الخليقة بإرادة الله، كذلك ستُدمَّر بإرادته**.
6. **التعليم المسيحي الأسمى حول علاقة الإنسان بالطبيعة** هو الأمر الوارد في تكوين 1: 28 بالخضوع والتسلّط. ويُفهم "التسلّط" هنا غالبًا بوصفه مرادفًا للهيمنة والسيطرة.

[19] Miguel G. Echevarría & Benjamin P. Laird, "What Is Paul's Eschatology?" in 40 Questions About the Apostle Paul, ed. Benjamin P. Laird (Grand Rapids, Michigan: Kregel Academic, 2023), accessed November 4, 2024, https://www.kregel.com/biblical-studies/40-questions-about-the-apostle-paul/.

لقد تبنَّت بعضُ الاتجاهات المسيحية نظرةً إلى الكوكب بوصفه مادةً خامًا، لا تحمل قداسةً ولا بركةً، بل باعتباره كيانًا يعمل خارج السردية الإنسانية. ومثل هذه الرؤى تجعل مهمة الحفاظ على البيئة صعبةً؛ إذ لا تترك مجالًا للتعامل مع الطبيعة بوصفها إعلانًا حقيقيًّا عن الله.

ومع ذلك، ينبغي التعامل مع هذه الأفكار بحذرٍ وتوازن، حتى لا ننزلق نحو تأليه الطبيعة أو رفعها إلى مرتبةٍ لاهوتيةٍ غير لائقة. ويجب التأكيد على العلاقة بين الله والإنسان والخليقة كلها. فالله سامٍ، لكنه ليس بعيدًا ولا مجردًا؛ بل يتفاعل مع التاريخ والطبيعة. ويتحقق النشاط الإلهي من خلال حدث النعمة، ولا يقع تحت تصرُّف الإنسان أو الطبيعة. وبعيدًا عن ثنائية الانفصال، فإن الله حاضرٌ معنا، ويعمل في العالم وفي التاريخ بوصفه المصدر الخلَّاق للخليقة كلها.

خاتمة

إعادة صياغة اللاهوت المُصلَح وتقديمه للمجتمع المصري بطريقة تتناسب مع الثقافة المصرية، بحيث يرتبط بسياق المجتمع الشرقي.

أولًا: يجب إعادة ترتيب ألحان الترانيم باستخدام ألحانٍ شرقية؛ لضمان استمرارية استخدامها. وأعتقد أن أحد أسباب ضعف استخدام نظم المزامير في مصر هو اعتماد الألحان الغربية التي لا تلقى قبولًا واسعًا لدى المصلين. وهناك سببٌ آخر، وهو أن ألحان المزامير في ترانيم الكنيسة المشيخية المصرية ليست غربيةً فحسب؛ فهناك ألحانٌ غربيةٌ أخرى تُستخدم دون مشكلةٍ تُذكر. لكن المشكلة، في رأيي، تكمن في أن هذه الألحان تنتمي إلى نمطٍ موسيقي يعود إلى قرنٍ مضى، ولم يعد يُعبِّر عن وجدان الناس اليوم.

ثانيًا: لا ينبغي تجاهل دراسة الإسخاتولوجيا وتأثيرها على الإيكو-لاهوت. فإهمال فهم الإسخاتولوجيا وعلاقتها بالبيئة أدى إلى التركيز على العالم الروحي والتفكير بأن الأرض في كل الأحوال سائرة نحو الدمار. لذلك، نحتاج إلى إعادة قراءة لاهوت بولس الأبوكاليبتي المتعلق بالخليقة في ضوء الإسخاتولوجيا، وذلك لمواجهة الفكرة القائلة بأن الدمار البيئي والكوارث علامات على نهاية الزمن.

ثالثًا: هناك حاجة ملحّة إلى تعليم بيئي للأطفال من مختلف الأعمار. فمن الممكن تنظيم مدارس بيئية أيام الأحد لتعليم الأطفال أخلاقيًّا واجتماعيًّا وإيكو-لاهوتيًّا. ويتطلب ذلك تطوير مناهجَ خاصةً لترسيخ التعليم البيئي على جميع المستويات. ويجب أن تُوجَّه التربية نحو تشكيل المواقف والسلوكيات من أجل تحقيق تنميةٍ مجتمعيةٍ مستدامة. وتشمل هذه التربية التعليمَ الدينيَّ، الذي تُدرَّس فيه القيم الدينية والروحية المتعلقة بالبيئة والكون بصورةٍ مستمرةٍ.

ختامًا: أطرح هنا نموذجًا لليتورجيا مُستلهَمَة من الرؤية الإيكوثيولوجيا، تُدمِج بين العبادة والوعي البيئي:

برنامج عبادة: "الخليقة تسبح الخالق"

عبادة شكر وتأمل في عطية الخليقة ومسؤوليتنا نحوها

أولًا: الترحيب والافتتاح (3 دقائق)
دخول القادة: يعزف فريق التسبيح مقطوعة هادئة عن الخليقة والطبيعة.
الراعـي: "هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ" (مزمور 118: 24).
لنبدأ عبادتنا باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.
الجماعة: آمين. باركنا يا رب، واملأ قلوبنا من سلامك.
ثانيًا: دعوة للتسبيح (5 دقائق)
ترنيمة افتتاحية: ترنيمة 385 من مزمور 65 أو أي ترنيمة مناسبة عن صلاح الله وعطاياه.
قراءة تمهيدية:
الراعـي: "تَعَهَّدْتَ الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ... سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً" (مزمور 65: 9).
الجماعة: مجدك يملأ الأرض، ورحمتك تسقي الزروع.
ثالثًا: القراءات الكتابية (10 دقائق)
1. الخليقة عطية الله
القارئ الأول: تكوين 1: 1–12: مع التركيز على خلق النباتات والأشجار وثمر الأرض
الجماعة: نشكر إلهنا القدوس الذي خلق العالم بحكمة ومنح الأرض ثمارها.
2. الإنسان وكيل على الخليقة
القارئ الثاني: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا" (تكوين 2: 15).
الجماعة: يا رب، هب لنا الحكمة لنكون وكلاء أمناء على خليقتك.
3. الخليقة تسبح الخالق
ترنيمة
القارئ الثالث: "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ" (مزمور 19: 1).
الجماعة: باركنا يا الله، واجعلنا شركاء في جمال خليقتك وتسبيحك.
رابعًا: فقرة تأمل قصيرة (5–7 دقائق)
عنوان التأمل: "اعملها واحفظها"
المحاور:
- الخليقة إعلان عن مجد الله.
- الإنسان ليس مالكًا للأرض، بل وكيلًا عليها.
- الإيمان الحقيقي يظهر في احترام عطايا الله.
- حماية البيئة جزء من الشهادة المسيحية والمحبة العملية.
- مسؤوليتنا تجاه الأجيال القادمة.

الآية الرئيسية: "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا" (مز 24: 1).
خامسًا: استجابة الجماعة (5 دقائق)
الراعـي: قد ائتمننا الله على خليقته، فلنتأمل مسؤوليتنا في حفظها.
الجماعة: يا رب، علّمنا أن نسلك بوداعة على الأرض ونعتني بمخلوقاتها.
الراعـي: لنتعهد أن نقلل الأذى للبيئة ونحفظ الموارد الطبيعية.
الجماعة: اغفر لنا يا رب ما ألحقناه من ضرر بخليقتك، واقُدنا لنكون وكلاء أمناء.
الراعـي: ليجدد روح الله قلوبنا ويقوِّ التزامنا بحماية خليقته.
الجماعة: آمين. لتكن أعمالنا مجدًا لك ولتجلب شفاءً للأرض.
سادسًا: ترنيمة استجابة (3 دقائق)
ترنيمة 440 مستوحاة من مزمور 104
الراعـي: "الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ، وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ" (مزمور 104: 14).
الجماعة: لربنا التسبيح، فهو الذي يعطي الزرع والحياة.
سابعًا: صلاة من أجل الزروع والمياه (5 دقائق)
الراعـي: يا رب السماء والأرض، أنت الذي ترسل المطر وتنبت النبات، بارك حقولنا وأشجارنا وكل محاصيل أرضنا.
الجماعة: يا رب، بارك المياه والهواء، واجعل الأرض مثمرة لخدمة شعبك.
الراعـي: أرسل نعمتك لتروي العطاش وتجدد الحياة في الطبيعة وفي الإنسان.
الجماعة: آمين، يا رب الذي يبارك الزرع ويعطي خبزًا في حينه.
ثامنًا: إعلان عملي
يدعو الراعـي الجماعة إلى تطبيق عملي خلال الأسبوع:
- ترشيد استهلاك المياه.
- زراعة شجرة أو نبات.
- تنظيف مكان عام.
- تعليم الأطفال احترام الخليقة.
- تقديم شكر يومي لله على عطاياه.

تاسعًا: البركة والختام (2 دقيقة)
الراعـي: "مُبَارَكٌ اسْمُ الرَّبِّ مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ"
الجماعة: آمين.

الراعـي: امضوا بسلام، ومجِّدوا الله في كل أعمال الخليقة.
الجماعة: آمين. ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.